أحاديث
تصنع الإرهاب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ

.. عندما تكون منظومةُ الوعي دون أسسٍ سليمةٍ متّكئةٍ على كتاب الله تعالى وثوابت العلم والمنطق .. وحينما يكون سمتُ الإدراك باتّجاه التاريخ وأهواءِ رجالاتِه .. وحينما يتحوّلُ المُستمعُ إلى مُجرّدِ مُتلقٍ دون تتبّعِ الحجّةِ والبرهان .. وحينما يتحوّلُ الواعظُ إلى مُجرّدِ مُهرّجٍ لا تعنيه الأدلّة والبراهين .. حين ذلك .. نكون في الخندق المعادي للحقيقة ، حتّى لو تُلِيَتْ هذه الحقيقةُ من أفواهنا ..

.. لو نظرنا نظرةَ تدبّرٍ إلى تاريخنا الفقهي والديني ، لرأينا أنَّ معظمَ الفقهاء والعلماء كان كُلٌّ منهم مُحارَبَاً في عصرِه ، وأنّهم تعرّضوا للكثير من التهم والإيذاء ، وأنّ فكرَ معظمِهِم لم ينتشر إلاّ بعد مفارقتهم للحياة .. باختصارٍ شديد .. نرى أنَّ المنظومة الفكريّة

التي تحكمُ سمت توجّهنا الفكري ، وسمتَ رؤيتنا للمنهج ، تجعلُ من إدخالِ أيِّ فكرٍ جديدٍ إليها مسألةً بالغةَ الصعوبة ، ولا يُوجدُ أصعبُ منها إلاّ إخراج تلك الفكرة – إن دخلت – من تلك المنظومة ..

.. أليس جَعْلُ التاريخ جزءاً من المنهج ، هو ذاتُه المشكلة التي واجهها هودٌ عليه السلام مع قومِه ، حينما طلبَ منهم أن يعبدوا اللهَ تعالى وحده ، دون التاريخ الذي جاء عن طريق الآباء :

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٠]

.. أليس جَعْلُ فكرِ الآباء شريكاً لِمنهجِ الله تعالى ، هو ذاتُه ما واجهه صالحٌ عليه السلام مع قومِه :

﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [هود : ٦٢]

.. أليس جَعْلُ فكرِ الآباء شريكاً لِمنهجِ الله تعالى ، هو ذاتُه ما واجهه موسى عليه السلام :

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٧٨]

.. أليست هذه مُشكلةَ كلُّ الرسل مع أقوامهم :

﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ [إبراهيم : ١٠]

.. أليست هذه المُشكلةُ هي المُشكلةُ ذاتُها التي واجهها النبيّ ﷺ في حياتِه ، ويواجهُها – بعد وفاته – المنهجُ الذي نزلَ عليه ؟ .. أليست الآيةُ الكريمةُ التاليةُ بإطلاقها الذي

تستحقّه ، والذي هو فوق التاريخ والزمان والمكان .. أليست تصفُ حالَ عابدي أصنام التاريخ ..

﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَـٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴾ [هود : ١٠٩]

.. ألم يصفُ اللهُ تعالى أصحابَ الجحيم بقولِه تعالى :

﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الصافات : ٦٨ – ٧١]

.. هل كان الضالون خلال التاريخ يعلمون أنّهم ضالون ؟!!! .. أم أنّهم كانوا يحسبون أنفسَهم على حق ، وأنَّ ما ورثوه من فكرٍ عن آبائهم هو عين الحقيقة ؟!!! ...

.. الله تعالى يقولُ لنا في كتابه الكريم : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم : ٣٩] ، مبيّناً لنا أنّ الإنسان أيَّ إنسان لا يُجازى إلاّ على سعيه في حياتِه الدنيا ، وبالتالي فالله تعالى لا يُجازي الإنسانَ بسعي غيره أو فِعْلِ غيره .. وهذه الحقيقة نراها أيضاً في قولِه تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس : ٥٤] .. ونراها أيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٨] .. بعد هذا البيان القرآني الواضح ، نرى رواياتٍ تقولُ غيرَ ذلك .. لننظر في الحديث التالي :

مسلم (٤٩٧١) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبَّادِ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ حَدَّثَنَا شَدَّادٌ أَبُو طَلْحَةَ الرَّاسِبِيُّ عَنْ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ **عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى** فِيمَا أَحْسِبُ أَنَا قَالَ أَبُو رَوْحٍ لَا أَدْرِي مِمَّنْ الشَّكُّ قَالَ

أَبُو بُرْدَةَ فَحَدَّثْتُ بِهِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ أَبُوكَ حَدَّثَكَ هَذَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ نَعَمْ

.. ولننظر في النصّ التالي من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي ، فيما يخصّ تفسير هذا الحديث :

[[قوله : (يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب) فمعناه : أن الله تعالى يغفر تلك الذنوب للمسلمين ، ويسقطها عنهم ، ويضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم ، فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين ، ولا بد من هذا التأويل لقوله تعالى : { ولا تزر وازرة وزر أخرى } وقوله : (ويضعها) مجاز والمراد : يضع عليهم مثلها بذنوبهم كما ذكرناه لكن لما أسقط سبحانه وتعالى عن المسلمين سيئاتِهم ، وأبقى على الكفار سيئاتِهم ، صاروا في معنى من حمل إثم الفريقين لكونهم حملوا الإثم الباقي ، وهو إثمهم ، ويحتمل أن يكون المراد آثاما كان للكفار سببٌ فيها ، بأن سنوها فتسقط عن المسلمين بعفو الله تعالى ، ويوضع على الكفار مثلها ، لكونهم سنوها ، ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها . والله أعلم]]

.. إذا كانت روايةُ الحديث تقول : **[[يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى]]** .. فالذنوب التي تُوضَعُ على اليهود والنصارى هي ذاتُها الذنوب التي مثلُ أمثالِ الجبال والتي اقترفها المسلمون ، وذلك بدليل الضمير المتّصل في كلمة **[[وَيَضَعُهَا]]** ، أي يضع الذنوبَ ذاتَها التي تمّ غفرانُها .. فما يتعلّقُ به هذا الضمير هو ذاته ما يتعلّقُ به الضمير المتّصل في كلمة **[[فَيَغْفِرُهَا]]** .. هكذا يُدركُ كُلُّ من يملك حدّاً أدنى من إدراكِ قواعد اللغة العربيّة .. فالعبارة الواردة في هذا الحديث **[[فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى]]** ، تعني الذنوبَ ذاتَها ولا تعني أبداً ما نراه في تفسير هذه الرواية ..

.. والعبارة الواردة في تأويلِهم : [[**ولا بد من هذا التأويل لقوله تعالى : (ولا تزر وازرة وزر أخرى)**]] ، كان من المفروض أن تكون على الشكل : [[ولا بُدَّ من القوْلِ بعدمِ صحّةِ هذه الرواية إيماناً واحتراماً لقوْلِه تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾]] ..

.. والعبارة الواردة في شرحهم : [[**ولا بد من هذا التأويل**]] ، تُبيِّنُ بما لا يقبل الشك من أنَّ تأويلاتِهم هذه والتي يسمّونها علماً تضع نتيجةً مُسبقةَ الصنع ، هي أنَّ هذه الروايات صحيحة ، مهما بلغت مخالفتها لكتاب الله تعالى ولثوابت العلم والعقل والمنطق ، ومهما بلغت درجة التناقض بينها ، وأنَّه ما على تأويلهم إلاّ خلق التبريرات لإيهام الناس أنَّها كلَّها صحيحة ..... فالعبارة الواردة في تأويلِهم : [[**ولا بد من هذا التأويل لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾**]] ، تؤكّدُ أنَّ المؤوِّل ذاته يعلم – في نفسه – أنَّ هذه الرواية تناقضُ كتابَ الله تعالى ..

.. ولو طلّقنا عقلنا وقبلنا بتأويلِهم هذا .. فلماذا اليهود والنصارى دون غيرِهم [[**فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى**]] ، لماذا لا تُوزَّعُ ذنوبُنا على المجوس والبوذيين وغيرِهم من أصحاب الديانات الوضعيّة .. فهل لا يُحاسبُ يومَ القيامة إلاّ نحن واليهود والنصارى ؟!!! .. طبعاً المسألةُ مسألةُ رواياتٍ لا أساسَ لها من الصحّة ، ووُضِعَت لهدفٍ واحدٍ هو الإساءةُ لمنهجِ الله تعالى ...

.. هذه الحقيقة تتأكّدُ معنا حينما نسمعُ الرواية التالية :

مسلم (٤٩٦٩) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً فَيَقُولُ هَذَا فِكَاكُكَ مِنْ النَّارِ**

.. وهذا نصٌّ مقتطعٌ من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي ، فيما يخصّ تفسير هذا الحديث :

[[فالمؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار لاستحقاقه ذلك بكفره . معنى (فكاكك من النار) أنك كنت معرضا لدخول النار ، وهذا فكاكك ؛ لأن الله تعالى قدر لها عددا يملؤها ، فإذا دخلها الكفار بكفرهم وذنوبهم صاروا في معنى الفكاك للمسلمين]]

.. كيف يكون معنى العبارات : **[[إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً فَيَقُولُ هَذَا فِكَاكُكَ مِنْ النَّارِ]]** ، ما نراه من تأويلٍ لا علاقةَ لـه بمتن هذه الرواية لا من قريبٍ ولا من بعيد ؟!!! .. أليست العبارة المُفتراة على الرسول ﷺ : **[[إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ]]** ، تعني كُلَّ مسلمٍ ، وبالتالي تشمل جميعَ المسلمين .. وهل جميعُ المسلمين يقومون بالذنوب والمعاصي نتيجةَ إملاءٍ عليهم من اليهود والنصارى ؟!!! .. وحتّى لو طلّقنا عقلنا وتصوَّرنا مثل هذه الأوهام ، فهل المسلمون – في هذه الحالة المُتخيَّلة – هل تسقطُ عنهم تلك الذنوب ويخرجون أبرياء على الرغم من قيامِهم بذنوبِهم تلك .. !!!؟

.. من الواضح وضوح الشمس وسط النهار أنّ تأويلاتِهم لا تهدف إلاّ إلى ذرِّ الرماد في العيون ، لتغطية الحقيقة الجليّة التي يُدركُها كلُّ مؤمن بكتابِ الله تعالى وبعدالةِ الله تعالى باحثاً عن الحقيقة ، وهي أنَّ مثلَ هذه الروايات موضوعة .. وهذا ما يتأكّدُ لدينا في الرواية التالية :

مسلم (٤٩٧٠) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ أَنَّ عَوْنًا وَسَعِيدَ بْنَ أَبِي بُرْدَةَ حَدَّثَاهُ أَنَّهُمَا شَهِدَا أَبَا بُرْدَةَ يُحَدِّثُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ أَبِيهِ **عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً قَالَ فَاسْتَحْلَفَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَحَلَفَ لَهُ قَالَ فَلَمْ يُحَدِّثْنِي سَعِيدٌ أَنَّهُ** اسْتَحْلَفَهُ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَى عَوْنٍ قَوْلَهُ حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ

الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ أَخْبَرَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ عَفَّانَ وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عُتْبَةَ

.. إنّنا نرى في هذه الرواية أنَّ عُمَر بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يستحلفُ الراوي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وفي هذا بيانٌ لكلِّ باحثٍ عن الحقيقة أنّ عمرَ بن عبد العزيز كان شاكّاً في هذه الرواية من أساسها .. أمّا المؤوّلون الذين تعنيهم هذه الروايات أكثرَ بكثير ممّا يعنيهم كتاب الله تعالى ، فلا شكَّ أنّهم سيؤوّلون غيرَ ذلك .. لننظر في النصِّ التالي المُقتَطَع من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي ، فيما يخصّ تفسير هذا الحديث :

[[قوله : (فاستحلفه عمر بن عبد العزيز أن أباه حدثه) إنما استحلفه لزيادة الاستيثاق والطمأنينة ، ولما حصل له من السرور بهذه البشارة العظيمة للمسلمين أجمعين ، ولأنه إن كان عنده فيه شك وخوف غلط أو نسيان أو اشتباه أو نحو ذلك أمسك عن اليمين ، فإذا حلف تحقق انتفاء هذه الأمور ، وعرف صحة الحديث ، وقد جاء عن عمر بن عبد العزيز والشافعي – رحمهما الله – أنهما قالا : هذا الحديث أرجى حديث للمسلمين ، وهو كما قالا لما فيه من التصريح بفداء كل مسلم ، وتعميم الفداء ولله الحمد]]

.. العبارة : **[[فَاسْتَحْلَفَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]]** ، من الحديث ، أوّلوها بأنَّ ذلك الاستحلاف كان لِمَا حصل له من السرور بهذه البشارة العظيمة للمسلمين أجمعين .. وبدلاً من القول بأنَّ متنَ هذه الرواية يُخالفُ كتابَ الله تعالى ومبدأ العدالة الإلهيّة والعقلَ والمنطقَ ، وأنَّ هذا الاستحلاف إنّما كان نتيجةَ شكٍّ في هذه الرواية ، بدلاً من ذلك قالوا : **[[هذا الحديث أرجى حديث للمسلمين ، وهو كما قالا لما فيه من التصريح بفداء كل مسلم ، وتعميم الفداء ولله الحمد]]** .. إذاً .. فلله الحمد .. كلُّ مُسلم مهما فعل من الذنوب والمعاصي سيفديه الله تعالى بيهودي أو نصراني ، محمّلاً ذنوبَه على ذلك اليهودي

أو النصراني !!! .. هكذا تقول هذه الرواية المفتراة على الرسول ﷺ .. وهذا نموذجٌ يُظهرُ كيف تحلُّ الروايات مكان دلالات كتاب الله تعالى في فكر الكثيرين ، وفي عقيدتِهم ..

.. أيُّ تفاهمٍ وأيُّ تعايشٍ في أيِّ وطنٍ يمكننا تصوُّرُه حينما يتمّ العمل بمقتضيات الرواية التالية ..

البخاري (٢٤) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُسْنَدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو رَوْحٍ الْحَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**

البخاري (٣٧٩) :

حَدَّثَنَا نُعَيْمٌ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوهَا وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ** قَالَ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ حَدَّثَنَا أَنَسٌ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ قَالَ سَأَلَ مَيْمُونُ بْنُ سِيَاهٍ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ يَا أَبَا حَمْزَةَ مَا يُحَرِّمُ دَمَ الْعَبْدِ وَمَالَهُ فَقَالَ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَصَلَّى صَلَاتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَهُوَ الْمُسْلِمُ لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ

مسلم (٣١) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي الدَّرَاوَرْدِيَّ عَنْ الْعَلَاءِ ح و حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ بِسْطَامَ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا رَوْحٌ عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ**

النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ

.. إذاً .. حسبَ هذه الروايات لا تُعْصَمُ دماءُ الناس ولا أموالُهم حتّى يكونوا مُسلمين ويؤمنوا بالرسول محمّد ﷺ وبكلِّ ما جاءَ به ، ويُصلّوا صلاتنا ، ويستقبلوا قبلتنا ، ويذبحوا ذبيحتنا .. وحسب صياغةِ هذه الروايات لا بُدَّ أن يقوموا بكلِّ هذه الأعمال مجتمعة ، بدليل العطف بالحرف (وَ) دون الحرف (أو) بين هذه الشروط التي تعصمُ دماءَهم وأموالَهم : **[[وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا]]** ،، **[[وَيُؤْمِنُوا بي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ]]** ..

.. كيفَ تُعَدُّ هذه الروايات نصوصاً مُقدَّسة في الوقت الذي نقرأُ فيه قولَ الله تعالى :

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [البقرة : ٢٥٦]

﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩]

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ [الكهف: ٢٩]

.. حتى آيات كتاب الله تعالى يُؤوّلونها تأويلاتٍ ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، فالاإكراه المعنيُّ بقولِه تعالى : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ يزعمُ بعضُهُم أنّه قبلَ دخول الدين فقط ، بينما بعد دخول الدين فلا صلاحيةَ عندهم لهذه العبارة القرآنيّة ... وحتّى لو طلّقنا عقولَنا وقبلنا مثل هذه التأويلات الفاسدة ، فإنّ الأحاديث التي ذكرناها تنسفُ هذا التأويلَ من جذوره ، فالعبارة المُفتراة على الرسول ﷺ في هذه الروايات : **[[أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ]]** ، هذه العبارة المزعومة تأمرُ بمقاتلةِ من لم يؤمن بعد .. إذاً هذه الأحاديث وهذه التأويلات والتفاسير الفاسدة كُلّها ينقضُها القرآن الكريم جملةً وتفصيلاً ..

.. فكيف يفترون على كتاب الله تعالى بأنَّ اللاإكراه المعني بقوله تعالى ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ هو قبل الدخول في الدين ، ثمّ يعودون فيضعون روايات ينسبونها للرسول ﷺ بأنَّه قال [[**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ**]] ؟!!! .. نترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

.. ولننظر في الحديث التالي :

مسلم (٣٢٨١) :

و حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَعَمْرٌو النَّاقِدُ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ يَحْيَى أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ قَالَ **سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الذَّرَارِيِّ مِنْ الْمُشْرِكِينَ يُبَيَّتُونَ فَيُصِيبُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ فَقَالَ هُمْ مِنْهُمْ**

وقبل أن يخرج علينا أحدٌ بتأويل من جيبه ليذرَّ الرماد في أعيننا ، لننظر في النصِّ التالي المُقتطَع من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي ، فيما يخصُّ هذا الحديث :

[[..... وهذا الحديث الذي ذكرناه من جواز بياتِهم وقتل النساء والصبيان في البيات ، هو مذهبنا ومذهب مالك وأبي حنيفة والجمهور . ومعنى (البيات ، ويبيتون) أن يغار عليهم بالليل بحيث لا يُعرف الرجل من المرأة والصبي . وأما (الذراري) فبتشديد الياء وتخفيفها لغتان ، التشديد أفصح وأشهر ، والمراد بالذراري هنا النساء والصبيان . وفي هذا الحديث : دليل لجواز البيات ، وجواز الإغارة على من بلغتهم الدعوة من غير إعلامهم بذلك . وفيه : أن أولاد الكفار حكمهم في الدنيا حكم آبائهم ، وأما في الآخرة ففيهم إذا ماتوا قبل البلوغ ثلاثة مذاهب : الصحيح : أنهم في الجنة . والثاني : في النار . والثالث : لا يجزم فيهم بشيء . والله أعلم .]]

.. كيف نُوفِّقُ بينَ شرحَ هذا الحديث الموضوع على لسان الرسول ﷺ : [[**وفي هذا الحديث : دليل لجواز البيات ، وجواز الإغارة على من بلغتهم الدعوة من غير إعلامهم**

بذلك . وفيه : أن أولاد الكفار حكمهم في الدنيا حكم آبائهم]] ، كيف نُوفِّقُ بين ذلك وبين قَوْلِه تعالى : ﴿ **لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ** ﴾ [الممتحنة : ٨] .. كيف نُوفِّقُ بين هذا الحديث المُلفَّق على الرسول ﷺ وشرحه ، وبين قوله تعالى : ﴿ **أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ** ﴾ [المائدة : ٣٢] ..

.. وكيف نفهم قولَهم : **[[أن أولاد الكفار حكمهم في الدنيا حكم آبائهم]]** ؟ !!! .. ما ذنبُ هؤلاء الأطفال الذين لم يصلوا سنَّ التكليف بعد ؟!!! .. ومن زاوية علمهم بالتكليف وبحثِهم عن الحقيقة ماذا يختلفون عن أطفالنا ؟!!! .. ألا تُعطي مثل هذه النصوص الموضوعة وتأويلاتُها للمتطرّفين حيثيّات تطرّفِهم الذي ينسبونه لمنهج الله تعالى ، ومنهج الله تعالى من ذلك براء ؟ .. ألا نرى في هذه الروايات الأسسَ الأولى للفكر الظلامي المتطرِّف التكفيري الذي عانت وتعاني منه الأمّة ؟ .. نترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

.. و لم تقتصر هذه العصبيّةُ العمياءُ على الأديان الأخرى ، بل تعدّت ذلك إلى نَسْبِ نصوصٍ إلى الرسول ﷺ تُكفِّرُ حتّى بعض أبناء الأمّة ممّن يؤمنون بالقرآن الكريم وبرسالة الرسول محمّد ﷺ .. وكنّا قد رأينا في محطّةٍ سابقة الحديثَ التالي ..

ابن ماجة (٣٩٨٣) :

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً **وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**

أحمد (١١٧٦٣) :

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي الْمَاجِشُونَ عَنْ صَدَقَةَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ النُّمَيْرِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ افْتَرَقَتْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً **وَأَنْتُمْ تَفْتَرِقُونَ عَلَى مِثْلِهَا كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً**

.. والكارثة العظمى أنَّ كُلَّ فرقةٍ وكلَّ طائفةٍ من طوائف الأمّة يزعمُ أفرادُها أنّهم هم تلك الفرقة الناجية ، وبالتالي فباقي الفرق في النار .. من هنا نرى أنَّ وَضْعَ مثلِ هذه الروايات المتناقضة أساساً كثوابتَ يُعايرُ عليها فكرُ الأمّة في كلّ زمانٍ ومكان ، كفيلٌ بخطفِ أيِّ صحوةٍ يُرادُ منها وحدةُ الأمّةِ والنهوضُ بها إلى الدرجة التي تليق بها كأمّة حاملة لمنهج الله تعالى .. فمثل هذه الروايات تُعيدُ الأمّةَ إلى ما تحت الصفر في أيّ صحوةٍ تملأ نفوسَ أبنائها ، وذلك من خلال إعطائهم حيثيّات التناحر والتكفير والاقتتال ..

.. بعد ما رأينا من أحاديث لا يقبلها عقلٌ ولا منطق ، بعد ذلك ، أصبحنا نُدركَ أنَّ إنكارَ حديثٍ مشكوكٍ فيه خيرٌ من إدخالِه ساحةَ المُقدَّس ، لأنَّ تقديمَ روايةٍ مكذوبةٍ على أنّها من المنهج ، وإدخالَها في ساحةِ المنهج ، هو جريمةٌ أبشعُ حتى من جريمةِ الإعراضِ عن تدبّر المنهج .. فغير المتدبّر لمنهج الله تعالى ، ربّما يصحو يوماً ويعود للحق ، عبر فطرته النقيّة التي فطرَ اللهُ تعالى الناسَ عليها ، بينما التائه الذي يحسبُ الباطلَ حقّاً لا يمكنه أن يصلَ إلى الحقيقةِ في يومٍ من الأيام ..

وفي كتاب الله تعالى – في سياق تبيان الظلم والافتراء على الله تعالى – نرى تقديم افتراء الكذب على الله تعالى حتى على التكذيب بآيات الله تعالى وبالحق ..

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [الأنعام : ٢١]

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٨]

فافتراء الكذب على الله تعالى هو إساءة لمنهج الله تعالى ، وإضلالٌ للناس ، وإبعادٌ لهم عن مُراد الله تعالى ..

وافتراء الكذب على الله تعالى بتلفيق الروايات ونسبها إلى المنهج عبر الزعم بأنَّها صحيحة ، وإجبار الأمّة على ذلك ، وتغييب العقل ومنعه من النظر في هذه الروايات ، ومنعه من معايرتها على كتاب الله تعالى ، يخلق مع الزمن حالةً يُحملُ فيها الرجال والروايات على سكّة التقديس ، وتُخلقُ فيها الجُدُر التي تمنع أبناء الأمّة من رؤية الحقِّ الذي يحمله كتابُ الله تعالى ..

.. ففي معيار الفكر والبحث عن الحقيقة ، نرى أنَّ القول بعصمة آل البيت وبعدالةِ الصحابة وبأنّهم فوق الجرح ، وبأنَّ كلَّ ما وصلنا عنهم جزءٌ من الدين لا يجوزُ نقدُه ، هذا القول ليس أقلَّ سوءاً من سبِّهم ، فالقضيّةُ حينما تتعلّقُ بالفكر وبمنهجيّةِ البحث عن الحقيقة في كتاب الله تعالى ، فإنّها تسمو فوقَ أيِّ قيمةٍ شخصيّةٍ لأيِّ إنسانٍ مهما كان ..

.. لأنّ هذه التأويلات والتخريجات التي رأيناها ليست منطقيّة ، ولا تتكئُ على قواعد اللغة العربيّة وعلى حيثيّات الصياغة اللغويّة للروايات ، ويتمُّ فيها إضافة معاني من الجيوب لا وجود لها في نصوص الروايات ، لأجل ذلك ، تتفرّقُ الأمّةُ مع الزمن وتتشرذم إلى مزيد من الانقسام والتفرّق ، وذلك حسب تأويلِ كلِّ مؤوّل .. ولذلك حتّى يستمرَّ فرضُ هذا الفكر التراثي الجمعي ، لا بُدَّ – مع الزمن – من استمرار تقديس رجالاتِ التاريخ وبشكلٍ مُستمر ، ولذلك نرى أنّه في كلِّ عصرٍ هناك رجالات يُعَدُّ كلامُهم مرجعاً لا تجوز مخالفته ..... إذاً منظومةُ الوعي الضابط لِلفكر – في هذه الحالة – تتشكّلُ من لَبِنات الجزئيّات التاريخيّة الموضوعة أصلاً من مادّة الهوى والعواطف الهوجاء والمسكوبة في قوالب العصبيّات المُسبقةِ الصُّنع ..